كل شيء اي علمه فان كان هذا اعلا عن احد فسر الباطن بذلك فذاك وان كان تفسيرا
للحديث اعني قوله فليس دونك شيء فليس بصحيح ايضا ومعنى ليس دونك شيء انك اقرب
شيء الى الاشيا فلا يحول بينك وبينها حايل وهو تعبير معادل ومعنى قوله صلعم لو انكم
دليتم احدكم الى الارض السفلى لهبط على الله اخرجه احمد وعبد بن حميد والترمذي
وابن المنذر وابو الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي من حديث ابي هريرة واخرجه
ابن مردويه من حديث العباس واخرج ابو الشيخ في العظمة عن ابن عمر وابي سعيد
عن النبي صلعم قال لا يزال الناس يسالون عن كل شيء حتى يقولوا هذا الله كان قبل الاشيا
فما كان قبل الله فان قالوا لكم ذلك فقولوا هو الاول قبل كل شيء وهو الاخر فليس بعده
شيء والظاهر فوق كل شيء وهو الباطن دون كل شيء فان قلت هذا معنى
ما ذكره الزمخشري لان المراد بغزه تعالى علمه قلت لسنا ممن يحرم ماتاوله بعينها
ولكنا نؤمن به لانه من عند ربنا وعلنا معناه جملة حسبما تلقته افهامنا ونكل التفصيل
الى الله سبحانه كنظائره كقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم الاية
وقد فسر الاول والاخر في الحديث بما يرشد الى النظر والمدح الذي لا يطلق عليه الاسما
الا ما تضمنه ناظر الى نفي ان يتقدمه تقدس احد او يتاخر عنه فسقط سوال من قال
كيف يتم التاخر مع خلود الجنة والنار حتى التجى بعضهم الى ان ذلك بالنظر الى اوقات الدنيا
وجعله دليلا على الفنا اي مصيرورة الاشيا اخر الدنيا كما كانت قبل خلق الخلق مع انه
لم يدل على ذلك دليل الا نحو هذه الاية وعلى ما ذكرنا يعود المعنى الى انه لم يشذ عن
ملكه شيء في وقت من الاوقات وحال من الاحوال فلذا اعطف عليه الظاهر والباطن على
معناهما المذكور بل هذه الست الايات كلها حايمة حول ذلك والله اعلم مع ان معنى
الحديث الاول الاخر انما بالنظر اليه تعالى بدون نظر الى سواه فذاك والمدح لانه يعني
وجوب وجوده تعالى فلا ينقطع في الازل ولا في الابد وفي الحديث معالمات ذلك
الان في الاخر مع ذكر التعرض لنفي الغير ما عدا الاولية فقط واشار الى ذلك الحديث
بالمخالفة في العبارة قال فقولوا هو الاول قبل كل شيء والاخر فليس بعده شيء قوله

تعالى

الحديد

٢٣٦

تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه
وابو نعيم في الدلائل من طريق زيد بن اسلم عن عطا بن يسار عن ابي سعيد الخدري قال خرجنا
مع رسول الله صلعم عام الحديبية حتى اذا كان بعسفان قال رسول الله صلعم يوشك ان
ياتي قوم تحقرون اعمالكم مع اعمالهم قلنا من هم يا رسول الله اقريش قال لا ولكنهم اهل اليمن هم
ارق افئدة والين قلوبا فقلنا اهم خير منا يا رسول الله قال لو كان لاحدهم جبل من ذهب
فانفقه ما ادرك مد احدكم ولا نصيفه الا ان هذا فصل ما بيننا وبين الناس لا يستوي
منكم من انفق من قبل الفتح و الاية واخرجه سعيد بن منصور ولفظه لو ان احدهم انفق مثل احد
ذهبا ما ادرك مد احدكم ولا نصيفه فصلت هذه الاية بيننا وبين الناس الحديث
واخرج احمد عن انس قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام فقال
خالد لعبد الرحمن بن عوف يستطيلون علينا بايام سبقتمونا بها فبلغ ذلك رسول الله صلعم فقال
دعوا لي اصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفقتم مثل احد او مثل الجبال ذهبا ما بلغتم اعمالهم
قلت خالد بن الوليد رض اسلم قبل الفتح فكانه لم ينفق له ما بينه وبين الفتح ما يعده
من السابقين وقد قاتل يوم الفتح فكانه لم يجعل ذلك كقبل الفتح لظهور قوة الاسلام
يومئذ كما بعده واذا كان سيف الله خالد خوطب بمثل هذا وجعل ما بينه وبين عبد
الرحمن واضرابه هذا البون التبعيد فما ترى فيمن يورد هذا الحديث ونحوه في معونة دول
من غير الشريعة وفتح الملك العضوض واضرابه وانما سوغوا ذلك بعد مغالطة من جعلهم
الصحابي يعني الرائي للنبي صلعم من مفسري الاحاديث باصطلاحهم كمن يسمي بعض المغفلين
بل المجاذيب بل الزنادقة وليا ثم يحتج عليه بمن عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة
ونحو ذلك قوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهدا
عند ربهم يصدقهم وايمانهم بالله ورسله كثيرا فسماهم صديقين وشهدا او الاخبار
ان المراد الذين هم وظيفة الشهادة على مخالفي الانبيا ومنه حديث لا يكون اللعانون
شفعا ولا شهدا ويحتمل ان المراد الذين قتلوا في سبيل الله وهو تفسير ابن مسعود
وابي هريرة ومجاهد وعمرو بن ميمون واخرج ابن جرير عن البراء بن عازب

Copyright © King Saud University